جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة الاسلامية في النجف الاشرف

كلية الاعلام

قسم الصحافة

المادة/ تشريعات الاعلام وأخلاقياته

الفصل الأول

عنوان المحاضرة/ حرية العمل الاعلامي

م.د. امير نجم عبود

محاور المحاضرة:

المحور الاول: مفهوم الحرية ومعيارها

المحور الثاني: حرية التعبير ونظرياتها

المحور الاول: مفهوم الحرية ومعيارها

إشكالية تعريف الحرية

ان مصطلح الحرية لن يتم الاتفاق عليه بين المفكرين والفلسفات والمذاهب الفكرية والفقهاء والسياسيين بسبب تضارب الايديولوجيات فكل اتجاه ايديولوجي او فلسفي عرف الحرية من وجهة نظره بما يخدم مصالحه واتجاهاته ان سر هذه الإشكالية كما سنرى لاحقا بسبب اختلاف معاييرها من ناحية والاشتباك الذي **جرى ويجري في ما بين الحرية الفردية والحرية السياسية فالأولى هي الغاية والثانية هي وسيلتها وهنا نطرح التساؤل التالي:**

ما هي الحرية وهل هي مطلقة ام مقيدة ؟

وقبل الاجابة على هذا التساؤل لا بد وان نؤكد على جملة من الحقائق التالية:

أولا- ان **الانسان مدني بطبعه** أي انه مخلوق اجتماعي ولد في مجتمع ويخضع لسلطة سياسية اطلق عليها تارة الحكومة وتارة الدولة.

ثانيا- ان مفهوم الحرية هو مصطلح اشكالي بحد ذاته من منطلق انه مصطلح متذبذب ويختلف من مجتمع لآخر تبعا لاختلاف (الزمان والمكان) بل وباختلاف الاطار المرجعي للفرد والمجتمع والفكر والمذهب معا وهذه الإشكالية هي المسؤولة في الاتفاق على تعريف محدد للحرية أي تعريف محكم ومنضبط بحيث يضفي عليها القيمة الإنسانية ويحصنها من أي تأثيرات وتشوهات ورواسب الزمان والمكان والمذهب الفلسفي والفكري والمذهبي، ومن هنا فقبل ان نضع تعريف للحرية وللحرية السياسية ولحرية الاعلام على ضوء نظريات الاعلام الحديثة فلا بد ان نتطرق الى معايير الحرية بشكل عام على ضوء المذاهب الفكرية والفلسفية والدينية، ومن هنا فأننا سنسلط الضوء على معيار المذهبيات الفكرية المعاصرة المتعارف عليها في الفكر الانساني.

١- معيار الحرية في الفكر السياسي الليبرالي

انطلق هذا المعيار من لدن فلاسفة التنوير الأوروبي الذين قاومو التحالف الثنائي بين الكنيسة والإقطاع السياسي فعلى سبيل المثال **(فجون سيتوارت ميل)** يعتبر ان اهم معايير الحرية ينطلق من المبدأ التالي**: (عدم الاضرار بالغير فأنت حر ما لم تضر بالآخرين)** بل انه اشترط لتجريم التصرف، **ان يكون الضرر عاما ومحددا** فان كان التصرف شخصي الأثر وأصاب أشخاصا لا يمكن تحديدهم فلا تجريم حينئذ وان دخل ذلك التصرف في دائرة التصرفات اللا اخلاقية.

٢- معيار الحرية في الفكر الماركسي

خرجت الماركسية من قلب المشهد الرأسمالي الغربي وجاءت كرد فعل شمولي متطرف مضاد في اتجاهه للتطرف الفردي الذي اتسمت به الذهنية الليبرالية او التحررية وفي فترة ازدهارها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

وقد انطلقت الفلسفة الماركسية ان السلطة مضادة للحرية من حيث المبدأ يكون اكثر حدة من منطلق ان الملكية الفردية لوسائل الإنتاج والإعلام والاستهلاك وهذا النظام **الرأسمالي يهدف من وراء الليبرالية تحقيق الربح** فقط **وتركيز الثروة في ايدي الأقلية الغنية وهذه الأقلية لا بد وان تستولي على الثروة والسلطة معا ومن هنا جاء الصراع مابين المذهب التحرري والماركسي.**

والمذهبية الماركسية تعتقد ان الحرية لن يتم تحقيقها في صورتها المثالية الا في مرحلة الشيوعية لانها المرحلة التي سوف تختفي في ظلها ظاهرة السلطة وتتحقق **الحرية فمعيارها او اختفاء السلطة**.

٣- معيار الحرية في الفكر الإسلامي

من خلال تحليل مضمون الخطاب القراني وخطاب السنة النبوية فان مصطلح الحرية لم يرد مطلقا في هاتين المرجعيتين لكن مضمونها كان في صلب الخطاب الإسلامي من منطلق ان القران الكريم ربط القرار بالجزاء ففي قوله تعالى : **(كل امرئ بما كسب رهينٌ) وقوله: (وان ليس للإنسان الا ما سعى)** وبالمجمل فان **خطاب الفكر الإسلامي يشتمل على مقاصد الحرية مع انه لم يذكرها بالاسم من منطلق ان البشر ولدو أحرارا وحريتهم بالحياة مطلقة في كل شئء وتبقى مطلقة حتى تصطدم بالحق والخير** فاذا اصدمت بالحق او الخير سواء كان فرديا ام جماعيا فان الحرية تنكمش اوتماتيكيا وتتقيد عند حدود الخير والحق.

بناءاً على ما تقدم يمكن تقديم تعريفان بشأن مفهوم الحرية وهما:

الأول/ وهو يركز على مبدأ **<u>الحرية المطلقة</u>** وقد عرفها: (أن يفعل الانسان ما يريد فعله وما يخاطر ذهنه دون قيد أو شرط).

لكن مبدأ الحرية المطلقة تعرض لجملة من الانتقادات، لذا تم تقديم تعريف آخر لمفهوم الحرية.

الثاني/ وهذا الاتجاه قد سعى الى تقنين الحرية وقد عرفها: (قدرة الانسان على اختيار سلوكه بنفسه في اطار مذهبي متوازن قادر على ضبط الحركة الاجتماعية في مفهومها الواسع بين الفرد والجماعة بلا افراط او تفريط)، والحرية بهذا المعنى لا تتصور تدميراً للقيود ولا تحكماً بالناس ولا اعتداء على الآخرين، **حرية لا مقيدة ولا مطلقة بل مسؤولة امام الجميع.**

التعريف الثاني قد توافق عليه **علماء الاجتماع والسياسة والإعلام**، من مبدأ (تبدأ حريتك عندما تنتهي حرية الآخرين)، ومن منطلق أن الحرية المطلقة ربما تؤدي الى الفوضى.

المحور الثاني: حرية التعبير ونظرياتها

هي الحرية التي تعني ان يعبر الفرد او المرء بفطرته عن ذاته وبدون عوائق ويتطلب تحقيق ذلك ان يكون المواطنين مستقلين عن الحكومة او السلطة بقدر المستطاع والإيمان الراسخ بالعقل الذي يألف المناقشة والعدل ووجود بيئة تتسم بالتسامح تسود فيها حرية التعبير والرأي.

ومن هنا فان حرية التعبير تكمن اهميتها نتيجة للتطور الإعلامي الهائل الذي حققته البشرية خلال العقود الماضية في حقل الاعلام وحرية التعبير حيث شكلت الاخيرة الآتي:

١- حرية التعبير وإبداء الرأي.

٢- كيفية وضع القيود على تلك الحرية.

ومن جهة أخرى ومن خلال تقليب معظم الدساتير الوطنية للدول نجد ان حرية التعبير في **هذه الدساتير هي موضع اهتمام الدول والمنظمات من خلال الحق في التعبير والحق في الاعلام والإطلاع على الاخبار والمعلومات** وقد انطلقت هذه الدساتير بشكل عام من شريعة حقوق الانسان العالمي الذي صدر عام ١٩٤٨م وهو الأساس الذي بنيت عليه كافة المواثيق والتطورات اللاحقة بالحق في التعبير والحق في الاعلام.

ووجدت نظريات الاعلام التي انبثقت على ضوءها ما تسمى بأخلاقيات الإعلام، وسنتحدث بشكل موجز عن اهم نظريتين لهما ارتباط بهذا الموضوع وهما:

أولا: نظرية الحرية

نتيجة للتراكمات التي أحدثها النظام الاقطاعي وتحالفه مع الكنيسة ورجال الدين ضج المجتمع الأوروبي من وطأة النظام التسلطي الذي قوبل بمعارضة عنيدة وعنيفة من قبل المفكرين والتنويريين الاوروبيين والذي **توج بميلاد فلسفة الحرية والتحرر الإنساني وهذا ما كان ان يتم لولا ثورة الطباعة والثورات الدامية في أوروبا.**

ان ميلاد نظرية الحرية جاء بسبب الانتقادات الحادة لنظرية السلطة ونظرية الحق الإلهي والممارسات التعسفية من قبل بعض الحكام ضد مجتمعاتهم، لذا سعت الجماهير الاوربية الى اقصاء كل رموز الهيمنة من رجال الدين والإقطاعيين الكلاسيكيين وحل محلها نظرية الحرية او المذهب الحرية الليبرالي والذي ما كان ان يجيء لولا الكفاح والنضال المستمرين الذي قدمه الثوار الانجليز والفرنسيون والأمريكيون معا والذي نجم عنه تصاعد **وتيرة مسار الديمقراطية والحريتين السياسية والدينية واتساع نطاق التجارة والرحلات كل ذلك ساهم في دفع اخر بقايا النظام العالمي القديم، والذي مهد لبروز نظرية الحرية والتي بدأ سطوعها خلال القرن السابع عشر وازدادت سطوعا في القرن الثامن عشر.**

المبادئ العامة لنظرية الحرية

اكدت نظرية الحرية على قدسية حرية التعبير والرأي وحرية الصحافة وحرية العقيدة والعبادة ومع ذلك فأنها ارتكزت على جملة من المبادئ العامة والتي تتمثل في ما يلي:

١- ان الانسان من حقه ان يتعرف على الحقيقة وان يسعى اليها ويهتم بها في كل وقت.

٢- ان الوسيلة الوحيدة للوقوف على الحقيقة هي ان تعرض بالمناقشات الحرة المفتوحة فإذا تضاربت الآراء في هذه المناقشات فلا ضرر من ذلك في الواقع.

٣- ان الآراء وان اختلفت اختلافا بعيدا او قريبا فانه ينبغي ان يتاح لكل ذي رأي فرصة يعرض فيها رأيه ويحاول اقناع الاخرين به ما استطاع ووسط هذه الخلافات مهما بلغت حدتها يستطيع الرأي الصائب ان يظهر ويتغلب على غيره.

٤- ان حق الفرد ان يعرف فهو حق طبيعي كحقه في الماء والهواء ولكي يمارس هذا الحق الطبيعي لا بد للصحافة ان تتمتع بحريتها الكاملة دون أي قيود تأتي من خارجها.

٥- ان حق الفرد ان يعرف ما يريد ان يعرفه لأنه لا معنى له اذا لم يكن لذلك الفرد الحق في ان يختار ما يريد ان يعرفه.

خصائص نظرية الحرية

١- ملكية الافراد للإعلام والصحافة.

٢- اصدار الصحف غير مشروط بترخيص او اخطار.

٣-لا يشترط دفع تأمين مادي قبل الإصدار.

٤- للمواطن الحق في ممارسة العمل الصحفي بغير شروط.

٥-القضاء هو المخول في اصدار العقوبات على الصحافة.

٦-لا يحق لأي سلطة في المجتمع ومن بينها السلطة القضائية الغاء الصحف.

٧- يمنع فرض الرقابة على الصحف.

٨- يسمح للصحافة بنقد رئيس الدولة.

٩- يسمح للصحافة بنقد نظام الحكم.

الانتقادات التي وجهت لنظرية الحرية

اعتبر علماء وفقهاء الاعلام بان نظرية الحرية لا وجود لها في الواقع الرأسمالي، وإنما هي ولدت أولاً ثم أصبحت سراباً ولا وجود لها في ثنايا كتب الفلسفة وان هذه المبادئ التي اشرنا اليها قضت عليها الاحتكارات الرأسمالية المتوحشة والشركات العابرة للقارات ومع ذلك فقد وجهت لها جملة من الانتقادات وعلى رأس هؤلاء العلماء الذي انتقدوا نظرية الحرية (فيودر بيتر سون) وخاصة وظائف أجهزة الاعلام في ظل النظم التحررية الرأسمالية وعلى النحو التالي:

١- ان أجهزة الاعلام تستغل قوتها الهائلة في خدمة أهدافها الخاصة فيروج أصحابها لأرائهم وخاصة في الشؤون السياسية والاقتصادية على حساب المعارضة.

٢- ان تضع نفسها في خدمة الأهداف الرأسمالية الكبيرة وطالما سمحت للمعلنين توجيه سياسة التحرير ومادته.

٣- انها تقاوم أي محاولة للتغيير.

٤- انها كثيرا ما تضفي اهتماما بالغا في الأمور التافهة والمثيرة اثناء عملية التغطية للأحداث الجارية وغالباً ما تتسم أبوابها الترفيهية بالسطحية.

٥- انها تعرض الاخلاق العامة للخطر.

٦- ان هناك طبقة اجتماعية واقتصادية واحدة تتحكم في الصحافة هي طبقة أصحاب الشركات الاحتكارية وقد اصبح من الأمور البالغة المشقة دخول أناس جدد الى ميدان الاعلام مما يعرض سوق الحرية والفكر الحر الى خطر اكيد.

خلاصة الحديث عن نظرية الحرية ان الصحافة والإعلام في ظلها امتازت بحرية كبيرة لا تكاد تعرف من القيود إلا قيد فرض الرقابة على الاعلام ولذلك تعرضت لانتقادات شديدة مما استدعى البحث عن نظرية أخرى تعالج نقاط الضعف في هذه النظرية من منطلق ان الحرية المطلقة **ستنتج فوضى عارمة وليست فوضى خلاقة.**

ثانيا: نظرية المسؤولية الاجتماعية

ظهرت هذه النظرية كرد فعل لسوء استخدام مفهوم الحرية في وسائل الاعلام والذي امتد ليشمل التحرر من اية مسؤولية تجاه المجتمع وإفراده ومن ثم قامت هذه النظرية **على أساس التوازن مابين حرية الفرد ومصالح المجتمع وعلى المستوى الإعلامي ارتكزت النظرية على تحقيق التوازن بين حرية الرأي والتعبير وصالح المجتمع وأهدافه** وان للإعلام وظيفة اجتماعية مما اسفر **عن مبدأ مهم في مهنة الاعلام وهو ضرورة وجود التزام اعلامي ذاتي بمجموعة من المواثيق الأخلاقية التي تستهدف إقامة توازن بين الحرية الفردية ومصالح المجتمع،** وبالتالي فان **اخلاقيات مهنة الاعلام يحكمه طرفان هما الحرية والمسؤولية والتوازن** بينهما هو جوهر اخلاقيات الاعلام ومهنة الاعلام.